

دلائل الإعجاز

مضروباً . وإن جاء شيءٌ من ذلك جاء على تعسُّفٍ فيه وتأويلٍ لا يُتصَّـور هاهنا وذلك أن يقالَ مثلاً : زيدٌ هو المظلومُ على معنى أنه لم يُضربْ أحداً ظلمُ يبلغ في الشَّـدَّةِ والشَّـنَاعَةِ الظلمَ الذي لَحِقَهُ فصار كلُّ ظلمٍ سِـوَاهُ عَدْلًا في جنبه . ولا يجيءُ هذا التأويلُ في قولنا : أنتَ الحبيبُ لأنَّـنا نعلمُ أنَّـهم لا يريدون بهذا الكلام أن يقولوا : إنَّـ أحدًا لم يُحِبَّـ أحدًا مَحَبَّتِي لكَ . وإنَّـ ذلك قد أبطل المحبَّـاتِ كلَّـها حتى صرَّتْ الذي لا يُعقل للمحبةِ معنًى إلَّا فيه . وإنَّـما الذي يريدون أنَّـ المحبةَ مني بجملتها مقصورةٌ عليكَ وأنه لَـيْسَ لأحدٍ غيركَ حظٌّ في محبةٍ مني . وإذا كان كذلك بانَّ أنَّـه لا يكونُ بمنزلةِ " أنتَ الشجاعُ " . تريدُ الذي تكاملَ الوصفُ فيه . إلَّا أنَّـه يَـنْـدَـبُـغِي من بَعْدُ أن تعلمَ أنَّـ بين " أنتَ الحبيبُ " وبين " زيدُ المنطلقُ " فرقاً وهو أنَّـ لك في المحبة التي أثبتَّـها طرفاً من الجنسية من حيثُ كان المعنى أن المحبَّـةَ مني بجملتها مقصورةٌ عليكَ ولم تعمَدْ إلى محبةٍ واحدةٍ من محبَّـاتِكَ . ألا ترى أنَّـك قد أعطيتَ بقولك : أنتَ الحبيبُ أنك لا تحبُّ غيرَه وأنَّ لا محبةَ لأحدٍ سِـوَاهُ عِنْدَكَ ولا يُتصوَّر هذا في " زيدُ المنطلقُ " لأنه لا وجهَ هناك للجنسيةِ إذ ليس ثَمَّـ إلا انطلاقُ واحدٍ قد عَرَفَ المخاطَبُ أنه كان واحتاجَ أن يعيَّنَ له الذي كان منه ويَـنْـدَـبُـصَّـ له عليه . فإن قلتَ : زيدُ المنطلقُ في حاجتكَ تريدُ الذي من شأنه أن يَـسْـعَى في حاجتكَ عرضَ فيه معنى الجنسية حينئذٍ على حِدِّـها في " أنتَ الحبيبُ " . وهاهنا أصلُ يجب أن تُحْكَمَـهُ وهو أنَّـ من شأنِ أسماءِ الأجناسِ كلَّـها إذا وصِفَتْـ أن تتنوّـعَ بالصفةِ فيصيرُ الرجلُ الذي هو جنسٌ واحدٌ إذا وصِفَتْـه فقلتَ : " رجلٌ طريفٌ ورجلٌ قصيرٌ ورجلٌ شاعرٌ ورجلٌ كاتبٌ " أنواعاً مختلفةً يُعَدُّ كلُّ منها شيئاً على حِدَةٍ . ويُسَمَّـى نَفً في اسم الرجل بكلِّ صفةٍ تقرُّنُها إليه جنسية . وهكذا القولُ في المصادر تقول : العِلْمُ والجهلُ والضربُ والقتلُ والسَّـيرُ والقيامُ والقعودُ . فتجدُ كلَّ واحد من هذه المعاني جنساً كالرجل والفرس والحصان . فإذا وصِفَتْـ فقلتَ : عِلْمٌ كذا وعِلْمٌ كذا كقولك : عِلْمٌ